الفصل الرابع

خاتمة ونقد مقارن

المقصود فى السطور التالية تعقيب نقدىّ على ما جاء من أخبار المؤرخين والكتاب الذين تقدمت تراجمهم فى الفصول السابقة ، على أن يتبعه تحليل لمؤلفاتهم تحليلا مقارناً ، من حيث إنها نتاج شامل لمرحلة من التاريخ المصرى مدتها قرن ونيف من السنين .

ومما يوجب الالتفات أولاً فى حياة أولئك الرجال أنهم كانوا فى الغالب ممن شغلوا — أو طلبوا — وظائف كبيرة فى الدولة المملوكية ، وأنهم جمعوا إلى ذلك بين فن الكتابة فى التاريخ والدراسات والتآليف المتنوعة . فالمقريزى مثلا تولى التوقيع بديوان الإنشاء ، ثم وظيفة محتسب القاهرة والوجه البحرى فى وقت معين ، وذلك فضلا عن تعيينه سنوات أخرى مدرسا للحديث (أى أستاذاً ذا كرسى فى المصطلح الجامى الآن) ، بمدارس القاهرة ودمشق ، وقيامه ناظراً على أوقاف واسعة بعاصمة الشام ؛ ومع هذا فشهرته مبنية على ما كتبه فى التاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، والخطط أيضاً . وكذلك كان ابن حجر قاضياً للقضاة الشافعية بالقاهرة ، كما كان العينى قاضياً للقضاة الحنفية بها ، مع

تولى ثانيهما المحسبة ونظر الأحباس جميعاً فى وقت واحد ؛ ونبغ كل منهما فى وظائف تدريس الحديث بالقاهرة ، وخلّف فى الحديث وعلومه مؤلفات ضخمة ، وهذا عدا مؤلفاتهما التاريخية الكبرى .

ويقال مثل ذلك فى ابن عرب شاه ، إذ اشتغل بديوان الإنشاء بمعظم الممالك الإسلامية فى الشرق الأدنى ، بل صار كاتب السرّ لدى السلطان محمد الأول العثمانى ، وغدت بيده مراسلات الدولة العثمانية وشئونها مع جيرانها من ترك وعرب وفرس ومغول على الأقل ، لمعرفته لغات تلك البلاد معرفة تامة . وتقلد خليل بن شاهين — وهو عديل السلطان برسباى — وظائف عظيمة فى الدولة المملوكية بمصر والشام وأطراف آسيا الصغرى ، فتعيّن ناظراً ثم حاجباً بالإسكندرية ، وتولى دار الضرب فالوزارة بالقاهرة ، ثم تقلب فى عدة نيابات بمدن الشام وملطية بأطراف الدولة المملوكية ، وذلك بالإضافة إلى مؤلفاته فى الفقه والتفسير والتعبير والتاريخ والإنشاء . أما الظاهرى ، مؤلف كتاب المقصد الرفيع المنشا الهادى لصناعة الإنشا ، فإنه قضى عدة سنوات موظفاً مسئولاً بديوان الإنشاء بالقاهرة ، كما يدلّ عليه كتابه . ومع أن أبا المحاسن لم يباشر وظيفة دائمة يوماً من أيام حياته الطويلة ، فالمعروف أنه كان من فرقة أولاد الناس ، التى جرت العادة فى الدولة المملوكية أن يُعطى للواحد منهم إقطاع متناسب مع رتبة أمير خمسة فى النظام الحربى المملوكى رعاية لسلفه ، وأن تسند إليه وظيفه مدنية زمن السلم ،

على أن يقوم بواجب الأمير وقت الحرب ؛ ثم تولّى أبو المحاسن وظيفة باش المحمل المصرى سنة ١٤٤٥ م ، ومؤلفاته الكبيرة فى التاريخ والتراجم معروفة . وصار ابن الصيرفى خطيباً لجامع الظاهر برقوق . ونائباً للحكم (قاضياً) عند قاضى القضاة الحنفية ، كما اشتغل بالتجارة والتأليف فى التاريخ والسيرة النبوية . أما السخاوى ، فكأنما قدّر له أن يظلّ طول حياته يسعى إلى وظيفة من وظائف تدريس الحديث بالقاهرة ، ويبوء من سعيه المتّصل ببقائه طالباً مزمناً حتى آخر أيامه ، فعانى التأليف فى الحديث والتاريخ والتراجم ، وكتب لنفسه ترجمة ذاتية فى أكثر من ثلاثين صفحة من كتابه الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ، وربما كان عدم توفيقه لوظيفة سبباً من أسباب المرارة الطاغية على كثير من تراجمه فى معجمه الكبير . وأما ابن إياس فليس من المعروف ما غدا عليه من وظيفة سوى أنه ظلّ كذلك فى فرقة أولاد الناس ، وبيده إقطاع له عبرة وافرة ، كأبى المحاسن من قبل وعبد الباسط وابن الطولونى من بعد ، وما عدا أنّ نَظْمه يدلّ على أنه عاش حول البلاط السلطانى ، ولعله تعيّن فيه على وظيفة مؤقتة لم يشأ أن يذكرها فى كتابه لضآلتها فى نظره . وأما معاصره السيوطى فإنه عاش جمّاعا للوظائف ، من تداريس ومشيخات حبًّا فى الصيت والمال ؛ ويظهر أن ابن طولون الدمشقى شابه السيوطى فى هذه الناحية كذلك ، فضلا عن مشابهته له فى الاعتداد بالنفس وادعاء التبحر

فى جميع العلوم وكثرة التآليف . وأما ابن الطولونى ، فإنه تولّى وظيفة "معلم المعلمين" فى البلاط المملوكى مدّة طويلة ، كما كان ابن زنبل من موظفى ديوان الجيش العثمانى ، وذلك بالإضافة إلى اشتغاله بالرمل والنجوم والأوفاق ، وله فى ذلك كتاب تقدّمت الإشارة إليه ، وهذا عدا ما ألّف فى الجغرافية والتاريخ .

وظاهرة ثانية مشتركة بين أولئك المؤرخين والكتاب فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وهى ممارستهم جميعاً نظْم الشعر فى مناسبات شتى ؛ ويظهر أن هذا الفن كان من مستلزمات المتنوّرين فى ذلك العصر . على أن السيوطى بزّ المعاصرين والمتقدمين جميعاً بممارسة الأدب النثرى كذلك ، إذ كتب سلسلة من المقامات فى نثر مسجوع . والواقع أنه لم يشذّ عن هذه القاعدة — وهى ممارسة النظم — أحد من أولئك المؤرخين ، غير أن المعروف من أشعار بعضهم لا يكاد يعدو أصابع اليد مرة أو مرتين عدداً ، وربما أبطنت كتبهم المخطوطة كثيراً مما لهم فى هذا الباب الذى وجبت العناية به ، لإبراز تاريخ مفهوم الأدب العربى المصرى فى العصور الوسطى ، وللاستعانة به فى معرفة ما غمض من أخلاق الكتاب وعلاقاتهم الشخصية بعضهم ببعض .

ذلك أنه يبدو من إشارات معظم أولئك المؤرخين إلى سابقيهم أو معاصريهم أنهم كانوا شديدى الخصومة ، والتحاسد والمداخنة — وتلك هى الظاهرة الثالثة الشائعة بينهم — ، يستشفها القارئ

لكتبهم فى غير عناء ؛ وسببها فى الغالب ما تولّد بينهم من منافسة وتعصّب لشايخهم ، سواء أكانوا مؤرخين أم محدثين أو موظفين فى الدولة المملوكية . من ذلك أن المقريزى لم يغفر للعينى أنه خلفه فى وظيفة الحسبة ، وهى الوظيفة الوحيدة التى يظهر أن المقريزى استراح لها من دون الوظائف التى تولاّها ، ولذا لم يألُ فرصة دون أن يتناول العينى بلاذع الإشارة فى كتبه . ولم يتحرّج العينى — بإزاء ذلك على الأقل — أن يصف المقريزى فى عبارة ماثلة ساخرة ، بأنه كان رجلا " مشتغلا بكتابة التواريخ وبضرب الرمل ، تولى الحسبة بالقاهرة . . . . ثم عزل[1] عسطّره " . ولم يخلُ من ذلك التحاسد والشعور بالمنافسة أمثال ابن حجر المعروف بالاتزان والوقار ، فإنه كَرِه العينى كرهاً تاماً ، ولم يستطع أن يسكت عن سرقاته فيما ألف فى الحديث والتاريخ ، فرماه بما سمح به قلمه من التجريح . وكذلك لم يفت أبا المحاسن أن يتعقب أخطاء أستاذه المقريزى كلما سنحت له الفرصة ، وذلك مع العلم بأن كثيراً مما جاء فى كتب أبى المحاسن منقول بحذافيره من مؤلفات المقريزى . أما السخاوى فلم يعجبه أحد من سابقيه أو معاصريه ، ما خلا أستاذه ابن حجر ، ولم يشأ أن يترك مناسبة — أو غير مناسبة — إلا اغتنمها للحطّ من كلّ من المقريزى والعينى وغيرهما . ومن ذلك قولُه فى أبى المحاسن : " وبالجملة فقد كان

(١) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٤ ، نقلا عن العينى .

[أبو المحاسن] حسن العشرة ، تام العقل — إلا فى دعواه فهو حمق[1] " ، ورميُه ابن الصيرفى بأنه " كان يكتب التاريخ مجازفة ، لا عن قائل ، ولا عن[2] راو " ، ووصفُه السيوطى بأنه " تزبّب قبل أن يتحصرم . . . . لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع حتى على أمّه[3] "

ولم يسلم السخاوى طبعاً من معاصريه ، إذ نَعَتَه السيوطى بأنه " المؤرخ الجارح . . . . . أكبّ على التاريخ فأفنى فيه عمره ، وأغرق فيه عمله ، وسلق فيه أعراض الناس ، وملأه بمساوئ الخلق . . . وزعم أنه قام فى ذلك بواجب ، وهو الجرح والتعديل[4] " ؛ وأيده فى ذلك الحكم ابنُ إياس فى عبارة متزنة معتدلة فى التعريف بالسخاوى . والواقع أن ابن إياس كان أقلّ مؤرخى القرن الخامس عشر الميلادى فى مصر حسداً وغيرة من أبناء صناعته ، وهو كذلك أعدلهم لفظاً عند الحكم على كثير من الناس ، وربما كان ابن إياس ذلك كلّه لأنه لم يزاحم أحداً من معاصريه من المؤرخين فى وظائفهم وأطماعهم ، وأنه عاش حفّاظاً للجمائل . مثال ذلك قصدُه فى النيل من السيوطى بخير أو شرّ ، لأنه على الرغم من عدم احترامه له ، لم ينس له حقّ تعليمه إياه ، فلم يتمرّض له بأكثر من النقد الخفيف .

(١) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ٣٠٥ .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٦٧ .
(٤) السيوطى : نظم العقيان — طبعة حتى — ، ص ١٥٢ .

وثمّ ظاهرة رابعة ، يراها القارئ شائعة بين مؤلفات أولئك المؤرخين كذلك ، إنهم يقولون فى مقدّمات كتبهم إنما يؤلفون لأنفسهم خاصة ، أو نزولا على رغبة صديق من الأصدقاء ، لا يريدون من ذلك جزاء أو نفعا أو صيتا أو حبّا فى استجلاب الرضا عند سلطان أو أمير . والغالب أن هذا التصنّع كان أيضا من تزويقات العلماء فى ذلك العصر وغيره من العصور ، ولا سيما إذا كان المؤلف ممن لم يسعدهم الحظ فى البلاط السلطانى ، أو عند أمير من الأمراء . والدليل على ذلك أن الذين نالوا منهم شيئا من التشجيع والرضا عند بعض أولى الأمر فى الدولة لم يكتبوا أمثال تلك العبارة المصطنعة فى افتتاحيات مؤلفاتهم ، بل ذكروا اسم السلطان أو الأمير صاحب الفضل عليهم . والأمثلة على النوعين كثيرة : فالمقريزى مثلا يفتتح كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ببيتين من الشعر ملخصهما أنه جمع ذلك الكتاب لنفسه[1] ، وأبو المحاسن يقول فى أول كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ما نصه : " ولم أقل كمقالة الغير إنى مستدعى إلى ذلك من أمير أو سلطان ، ولا مطّلب به من الأصدقاء والإخوان ، بل ألفته لنفسى ، وأينعته بباسقات غرسى ، ليكون لى فى الوحدة

---

(١) المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك — طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ، ج ١ ، ص ٣ .

جليسا ، وبين الجلساء مسامراً وأنيسا[1] " . غير أن أبا المحاسن ناقض نفسه في موضع آخر من كتابه هذا حين قال إنه ألفه من أجل صديقه السلطان المرجوّ محمد بن جقمق ، ليجعل منه ما جعل العيني للسلطان برسباى من كتاب عقد الجمان بأخبار الزمان ، مع العلم بأن ابن جقمق لم يطلب إليه هذا الطلب . أما السخاوى ، فيذكر صراحة بأنه ألف كتاب التبر المسبوك فى ذيل السلوك إجابة لطلب الأمير الكبير يشبك بن مهدى الدوادار ، وفى ذلك يقول : " ثم أخذت فى ضبط ما تيسّر لى ، وذلك حين أمرنى مَن إجابته عند العظماء كالواجب ، وإشارته بمجرد الإيماء للوقاية كالحاجب ، وجنابه يُغبط من حلّ بجانبه ، وبابه محطّ رحال الساعى فى مآربه ، فالعلماء بمجلسه حافّون ، والفهماء فى محل أنسه عاكفون[2] . . . " ، وأمثال هذه العبارات كثير فى كتب غير السخاوى من المؤرخين .

وهناك ظاهرة خامسة بين أولئك المؤرخين ، وهى الأخيرة والأكثر أهمية مما سبق فى هذا المقام من الظواهر المشتركة بينهم ، لعلاقتها بالتاريخ ومقارفته فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، وتلك هى أن الغالبية العظمى من كتب مؤرخى القرن

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — طبعة دار الكتب المصرية — ، ج ١ ، ص ٢ .

(٢) السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، ص ٤ .

الخامس عشر الميلادى فى مصر ليست سوى ذيول وتكملات لكتب سبقتها زمنياً . على أن المؤرخين فى ذلك القرن ليسوا فى الواقع سوى مقلّدين لسلفهم فى التأليف التاريخى بالشرق الإسلامى كلّه ، وأكبر الظن أن المؤرخين فى العربية على الإطلاق[1] أرادوا بتلك الطريقة أن يستمدّوا لأنفسهم من شهرة السابقين بربط مؤلفاتهم إلى كتب سلّم الناس بأهميتها قبلا ، أو أن يفرضوا على الناس أنهم الوارثون لما فى الشهرة والزعامة من إجلال واحترام ، أو أن يدّعوا أنهم استطاعوا تهذيب أغلاط السالفين فى الكتابة والترتيب . فالمقريزى (وهو الوحيد الذى لا ينطبق عليه شىء من هذا التعليل كله) ذيل على نفسه فى تأليفه كتاب السلوك ، إذ كتبه ليكمل به سلسلة مؤلفاته الخالدة فى تاريخ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى منذ الفتح العربى إلى زمنه[2] . أما أبو المحاسن فإنه كتب حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور

---

(١) يوجد كثير من الأدلة على إطلاق هذه الظاهرة على جميع المؤرخين السابقين فى العربية قبل القرن الخامس عشر الميلادى ، ومنها أن تاريخ أبى الفدا ذيل على كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل ، وأن تاريخ البرزالى ذيل على كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة ، وأن كتاب الإعلام بتاريخ أهل الإسلام لابن قاضى شهبة ذيل على كتاب العبر فى خبر من غبر للذهبى ، وغير ذلك كثير فيما يبدو .

(٢) المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك — طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ، ج ١ ، ص ٩ .

استمراراً لكتاب السلوك ، وإحياء لسنة صاحبه وأستاذه مع التحسين فيها ، ليكون له من بعده زعامة المؤرخين بحقّ فى القرن الخامس عشر الميلادى [١] ولهذا السبب نفسه كتب السخاوى كتاب التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، وهو تكملة ثانية لكتاب المقريزى كما يتضح من العنوان ، كما أنه ألف كتاب وجيز الكلام فى ذيل تاريخ دول الإسلام تتمة لكتاب الذهبى المؤرخ ، وكتاب الذيل المتناهى تكملة لكتاب معروف لابن حجر فى قضاة مصر ، وكتاب الذيل على طبقات القراء تكملة لكتاب ابن الجزرى . ومن أمثلة ذلك أيضاً كتاب المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لأبى المحاسن ، فهو ذيل على المؤلف المعروف لخليل بن أيبك الصفدى ، وكتاب إنباء الغمر فى أبناء العمر لابن حجر ، وهو فى الواقع ذيل لكتاب البداية والنهاية لابن كثير ، وكتاب تاريخ العمر للسيوطى ، وهو تكملة للكتاب المتقدّم لابن حجر .

غير أنه توجد عدا هذه الظواهر المشتركة بين أولئك المؤرخين ظاهرة واحدة غير مشتركة بينهم ، أو — بعبارة أخرى — ظاهرة غير متساوية الانطباق على كل منهم ، وتلك هى اتجاه بعضهم ، كالمقريزى والسيوطى ، إلى تأليف الكتب الصغيرة فى موضوعات

---

(١) أبو المحاسن : حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور — طبعة كاليفورنيا — ، ج ١ ، صفحة ب .

معينة ، فضلا عن جانب انشغالهم بالكتب الكبيرة والحوليات ، واتجاه بعضهم الآخر ، كأبي المحاسن والسخاوي ، إلى اختصار المؤلفات المنسوبة لأسلافهم أو لأنفسهم . على أن إنتاج البعض الأول في ذلك الصنف من التأليف هو القمين بالانتباه هنا ، فمؤلفات المقريزي الصغيرة مثلا تتصف بصفات خارقة ، إذ بينما تموج كتبه الكبيرة بأخبار الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ، وتزدحم بحوادث العزل والولاية ، وتنتفش بالتراجم والوفيات والحروب والتجاريد ، حتى تكاد شخصية المؤلف لا توجد أو تُرى إلا بمنظار ، إذا بهذه الكتب الصغيرة تلقي كثيراً من الضوء على شيء من هوية المؤلف ، وتوضّح الطريق لفهم الحال الفكرية في عصره . ذلك أن المقريزي يعرض في أمثال هذه الكتب لمسائل قلّ أن يتعرض لها في حولياته ، ويتحلل من قيود تسجيل الأخبار ، ويجرؤ على الإدلاء بآرائه الخاصة ، بل يحاول أحياناً أن يعلل الحوادث تعليلا عقلياً ، ويناقش بعض العيوب نقاشاً حرّاً[1] . أما مؤلفات السيوطي الصغيرة فقد تقدمت الإشارة إلى طابعها الصحفي القائم على الدعاية لنفس لوّامة للغير في كثير من الأنانة والتعديل الزائف وحب الصيت ، على أن غثاثة تلك

---

(١) انظر المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة — نشر زيادة والشيال — صفحة هـ ، وكذلك المقريزي : نحل عبر النحل — نشر الشيال ، صفحة د — هـ .

المؤلفات لا تستطيع إلا أن تنمّ عن شخصية السيوطى ، وهى فى الواقع تلقى كثيراً من الضوء على شىء من هويته ودخيلته[١] .

أما التعريف بمنهج الكتابة والتأليف عند مؤرخى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وتقدير مؤلفاتهم تقديراً مقارناً من حيث أنها منابع ومراجع أصلية للتاريخ المصرى فى العصور الوسطى ، فمن الضرورى قبل الكلام فى هذا أو ذاك أن نذكر أولا أن لفظ " تاريخ " فى ذلك العصر ، وما سبقه أو لحقه من العصور كذلك إلى نهاية العصور الوسطى — وسواء فى ذلك مصر وبلاد الشرق والغرب جميعاً — وسع غير التاريخ من العلوم والفنون والمقاصد ، كالحوليات والمدوّنات اليومية ، والوَفَيات والتراجم ومعاجم الكتب . ويرجع هذا التجوّز الواسع فى مدلول لفظ " تاريخ " ومشموله فى اللغة العربية — واللغات الأوربية كذلك فى تلك الأزمنة — إلى عوامل لا محل هنا لمناقشتها أو استقصائها[٢] ، إذ المراد شرح طريقة التأليف والترتيب عند مؤرخى القرن الخامس عشر الميلادى وحده فى مصر شرحاً استقرائيا ذلك أن كلاً منهم كان يفتتح كتابه ، بعد البسملة والحمدلة والصلوات الطيبات ،

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٥٨ — ٦٣ .

(٢) اقرأ فى هذا الموضوع ما كتبه الأستاذ عبد الحميد العبادى بك فى الفصل الثالث من كتاب علم التاريخ ، ص ٥١ — ٦٩ . (مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ م) .

بذكر بدء الخليقة ، ويُعقبه بقصص الأنبياء والمرسلين ، ثم يأخذ في شرح فضائل مصر وما امتازت به من الصفات على سائر البلدان ، ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تأييداً لذلك ، وينتقل من بعد هذا إلى تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي ، فيكون مختصراً أولا ، ثم أقل اختصاراً ، وهكذا إلى أن يصير الكتاب سجلا يوميا لما يقع بمصر وولاياتها وجاراتها من الحوادث الكبرى والصغرى في عصر المؤلف . وقد يتخلل هذا السجل شيء عن أسعار المحاصيل وأحوالها ، أو فيض النيل ومناسيبه ، أو هبوب ريح سوداء ترفع الأبقار في الهواء ، أو تفصيلات جدل أدبي ، أو أدوار محنة فقهية ، أو تعديل في نظم الحكم والجيش ، أو وصف لمسجد عمره سلطان أو أمير ، أو نص رسالة أرسلها ملك من ملوك البلاد المجاورة وجواب السلطان عليها ؛ وذلك فضلا عن الوفيات والتراجم التي تطول أو تقصر بحسب مزاج الكاتب ومقياسه ، وعلى قدر القيمة السياسية أو الاجتماعية للمترجم له .

يتضح من هذا أن مؤرخي ذلك العصر لم يفرّقوا بين التاريخ والقصص والأدب والوفيات والتراجم ونظم الحكم ، وأنهم اتبعوا طريقة الاستطراد في التأليف ، فلم يميزوا بين التاريخ البحت وبين الاقتصاد والاجتماع والتاريخ الدستوري ، مثلا . واتبع المقريزي تلك الطريقة الجامعة بمقدار في كتاب السلوك لمعرفة

دول الملوك ، غير أنه رتّبه على نظام مخالف لما وجده شائعاً بين مؤلفات مَنْ سبقه من المؤرخين فى مصر ، كالنويرى وابن الفرات . وتفصيل ذلك النظام أن المقريزى دوّن حوادث كل عام فى فصل مستقل ، تحت عنوان باسم ذلك العام بخط كبير ومداد غير مداد المتن ، وختم الحوادث بذكر الوفيات والترجمة لأصحابها فى شىء من الاختصار العامد ، ثم انتقل إلى العام التالى فجعله عنواناً جديداً ، وسجل حوادثه دون أن يؤلف من كتابته فصة متصلة ، ما عدا أنه افتتح السنة أحياناً بذكر الوظائف الكبرى ومَن عليها ، وهذا فى العادة إذا جاء بدء السنة موافقاً لقيام سلطان جديد ، لما فى ذلك طبعاً من تغيير وتبديل بين موظفى البلاط السلطانى . واعتاد المقريزى كذلك أن يكتب اسم السلطان الجديد بخط كبير ومداد مخالف ، غير أنه لم يجعل من ذلك وقفة يلخّص فيها أو يفلسف ، بل اكتفى بعبارات افتتاحية فى أصل السلطان وماضيه ، ثم انتقل إلى ذكر الحوادث والأخبار حسب ترتيبها الزمنى على قدر الإمكان .

وسار كلّ من العينى وابن حجر على هذا النظام فى كتبهما التاريخية ، ما عدا أن شغف ابن حجر بالتراجم حمله على أن يفيض فيها بأكثر مما دوّن فى حوادث سنة بأكملها . ولابن حجر فضل فى أنه كتب الوفيات على ترتيب أبجدى ، وحذا حذوه فى ذلك تلميذاه السخاوى وابن الصيرفى . وابن حجر كذلك أول من ابتدع فكرة الكتاب الشامل لوفيات قرن بتمامه ،

وهو أيضا صاحب فكرة التسمية لتلك الكتب على عنوان القرون ، وإليه يرجع قصب السبق فى العناية بتراجم الفاضلات المحدّثات من النساء ، وكتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة دليل واضح على ذلك . واقتفى السخاوى أثره فى هذا كله ، وزاد عليه بأن جعل للنساء وحدهن جزءا مستقلاً من كتاب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ؛ وتألفت من بعد ذلك الكتب المعروفة فى وفيات القرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر الهجرى .

أما أبو المحاسن فإنه أخذ على أستاذه المقريزى أنه ملأ كتابه بالحوادث والماجريات ، وقصّر فى التراجم والوفيات ، ولذا ألف هو كتابه حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، معارضاً لذلك الترتيب ، فأطنب فى الحوادث وأوسع فى التراجم ، لتكثر الفائدة من الطرفين ، على قوله ؛ وهذا الكتاب هو الذى جعله أبو المحاسن ذيلا على كتاب السلوك للمقريزى . بل إن أبا المحاسن انتهج فى تاريخه الكبير ، وهو كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، منهجاً مخالفاً لطريقة المقريزى وترتيبه ، إذ جعل كل عهد من عهود الملوك والسلاطين فصلا قائماً بذاته ، وذكر السنين وحوادثها تباعاً من غير أن يجعل لها عناوين مستقلة ، ما عدا أنه أشار إلى إهلالها على أنه حادثة من الحوادث ، حتى إذا توفى السلطان أتى على أخباره مرّة أخرى فى ترجمة متصلة ، وشرح أخلاقه وعوامل نجاحه أو فشله ،

ثم أعقب ذلك كلّه بترتيب سنوات العهد نفسه ترتيباً عددياً ، وذكر وفيات كلّ منها فى فصل واحد ، وربما أفاض فى هذه أو تلك من الوفيات إفاضة ملحوظة لما لصاحبها من مقام ممتاز ، أو ذكر فى أثنائها من الحوادث ما لم يستطع ذكره أو أنسيه فى الجزء الخاص بعهود السلاطين

وأما ابن إياس فانبع طريقاً نصفة بين ترتيبيْ المقريزى وأبى المحاسن ، إذ قسم كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور إلى عهود مستقلة ، كما فعل أبو المحاسن ، وذكر السنين بعناوين واضحة وبخط كبير ومداد مخالف ، كما فعل المقريزى ؛ ولكنه لم يجعل للوفيات ترتيباً زمنياً منفصلا مثل ترتيب أبى المحاسن ، ولم يكتبها عند أواخر السنين من حولياته مثل نظام المقريزى ، بل أوردها فى كثير من الإيجاز عند وقوعها حيثما اتفق من شهور السنة ، وهو فى ذلك متبع للطريقة التى سار عليها مؤلف مجهول الاسم ، له كتاب مخطوط ناقص وبغير عنوان بالمتحف البريطانى بلندن ، وموضوعه تاريخ دمشق .

وللبرهان على كلّ ما تقدم من ملاحظات يجب الرجوع إلى كتب أولئك المؤرخين نفسها ، أو إلى مقدّماتها على الأقل فالمقريزى مثلا بيّن فى تصدير كتاب السلوك أنه ألفه ليكون تاريخ السلاطين فى مصر بعد الفاطميين "من الملوك الأكراد والأيوبية ، والسلاطين المماليك التركية والجركسية ، فى كتاب

يحصر أخبارهم الشائعة ، ويستقصى أعلامهم الذائعة ، ويحوى أكثر ما فى أيامهم من الحوادث والماجريات ، غير ممتنٍ فيه بالتراجم والوفيات ، لأنى أفردت لها تأليفاً بديع المثال ، بعيد المنال ، فألفت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار المملّ والاختصار المخلّ(١) " . وكذلك كتب أبو المحاسن فى خطبة كتاب النجوم الزاهرة ، حيث قال إنه رتّبه ليكون شاملا لعهود من ولى مصر منذ الفتح العربى من الولاة والخلفاء والملوك والسلاطين ، " واحداً بعد واحد ، لا أقدّم أحداً منهم على أحد باسم ولا كنية ولا لقب ، ثم أذكر أيضاً فى كل ترجمة ما أحدث صاحبها فى أيام ولايته من الأمور ، وما جدّده من القواعد والوظائف والولايات فى مدى الدهور ، ولا أقتصر على ذلك ، بل أستطرد إلى ذكر ما بنى فيها من المبانى الزاهرة ، كالميادين والجوامع ومقياس النيل وعمارة القاهرة ، أولاً فأولاً ، أذكره فى يوم مبناه وفى زمن سلطانه ، مستوعباً لهذا المعنى ضابطاً لشانه ، على أنى أذكر من توفى من الأعيان فى دولة كلّ خليفة وسلطان باقتصار ، بعد فراغ ترجمة المقصود من الملوك ، مع ذكر بعض الحوادث فى مدة ولاية المذكور فى أىّ قطر من الأقطار(٢) " . أما ابن إياس ، فليس

(١) المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ٩ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج ١ ، ص ٣ .

بالمطبوع من تاريخه خطبة مشابهة يمكن الاقتباس منها اقتباساً يدل على طريقته فى التأليف ؛ على أن القارئ لكتابه يجد ذلك واضحاً شائعاً فى جميع أجزائه ، وهو لا يخرج عما تقدمت الإشارة إليه إجمالا فى موضعه .

والحاصل أن طريقتى المقريزى وأبى المحاسن ، وكذلك الطريقة التى سار عليها ابن إياس ، ليست فى شىء من التاريخ بمعناه الحديث ؛ فطريقة المقريزى ناقصة لقطع تتابع الحوادث فجأة عند نهاية السنين ، وطريقة أبى المحاسن مؤدية لشىء من الخلل والاضطراب ، بسبب مراوحته بين الإفاضة فيما هو بصدده من حادثة أو مسألة ، وبين تأجيل ذلك إلى صفحات الوفيات التى ذيل بها عهود السلاطين ، مما نتج عنه نقص أحياناً وتكرار أحياناً أخرى . ويقال مثل هذا وذاك بصدد طريقة ابن إياس ، لأنها فى الواقع مزيج من الطريقتين السابقتين .

ثم إنه يلاحظ أن المؤرخين على وجه التعميم قنعوا فى كتبهم هذه بذكر الحقائق مجردة عن أسبابها ، ودوّنوا الحوادث شهراً فشهراً — أو يوماً فيوماً أحياناً — دون أن يحاولوا ربط حادثة ما بشىء سابق ، أو يجعلوا من كتاباتهم قصة متصلة ، أو يعرضوا لشىء من المقدمة والنتيجة لهذا أو ذاك مما كتبوه . على أنه من الحق أن يسجل لهم أنهم انتقدوا وفلسفوا وأنهوا بأحكام واضحة فى بعض الحوادث الجارية ، ولا سيما فى الأجزاء المعاصرة من

مؤلفاتهم ، وذلك على الرغم من أنّ أحكامهم هذه جاءت داعماً من باب التعقيب على الحوادث للعظة والاعتبار ، دون أن يكون فيها شيء من التعليل أو التحليل أو الاستقصاء .

وأما طريقتهم في الأجزاء غير المعاصرة من مؤلفاتهم ، فهي أن ينقلوا من كتب السابقين نقلاً حرفياً ، مع ذكر اسم المرجع أو مؤلفه أحياناً قليلة فقط ؛ فشوا بذلك على المبدأ القديم المتواتر بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ولم يتعرّضوا لمقولهم بعقول أو نقد أو تجريح أو تعديل ، ما عدا أنهم غيّروا بعض الألفاظ بين العبارة والأخرى . على أن تلك الطريقة النقلية عادت بفائدة لا يمكن المبالغة في مداها ، إذ حُفظت بفضلها كتب مفقودة أصولها الكاملة حتى الآن ، ولولاها ما وصل من تلك الكتب شيء للمتأخرين ، ولولاها كذلك ما عرفنا كثيراً مما هو معروف — وإن جاء ناقصاً — من أساليب المؤرخين في مصر وغيرها من البلدان الإسلامية في العصور الوسطى .

وأما ما يتعلق بالقيمة القياسية لكلّ من الأجزاء المعاصرة في تلك المؤلفات جميعاً ، فتقرير ذلك مرتبط بما استقام للمؤلف من مقدرة على استقاء الأخبار من منابعها كرجال الدولة والدواوين ، وعلى تنقيتها وغربلتها من الشوائب والزوائد . وعلى هذه القاعدة يتبيّن أنّ المقريزي حرص في الجزء المعاصر من كتاب السلوك على أن يكون رجلا نقادة جريئاً ، يعرف الغثّ من السمين

عما يتراءى إليه من أخبار وحقائق ؛ ولذا يجد القارئ بصفحاته معلومات قلّ أن يجدها فى مثل مساحتها من كتاب آخر ، وذلك فضلا عن انفرادها بحقائق ضافية فى أحوال النقود ، وقوانين المعاملات التجارية ، والاحتكارات السلطانية ، والأثمان الجارية لأنواع الأطعمة . غير أن الجزء الأخير من هذا الكتاب يوافق زمنياً عهد السلطان برسباى ، ولم يكن المقريزى من المقرّبين إلى ذلك السلطان ؛ ولذا يلمس القارئ فى ثنايا هذا الجزء من الكتاب شيئاً من المرارة والكراهية ، إلى جانب الجرأة فى النقد ؛ وذلك بعكس ما يقابله فى النجوم الزاهرة لأبى المحاسن ، إذ جاء أسلوبه أهدأ وأعدل ألفاظا ، لأن أبا المحاسن ظلّ من الحاشين حول بلاط برسباى وحاشيته .

غير أن المقارنة الدقيقة بين ما جاء فى كلّ من السلوك للمقريزى والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن من أخبار متفقة الوقوع تدلّ فى وضوح على أن أبا المحاسن نقل كثيراً من كتاب أستاذه نقلاً حرفيا ، دون أن يُعنى بالإشارة إلى مرجعه . ومن الجلىّ أنّ أبا المحاسن لم يجد ثمت سببا يدفعه إلى الاعتراف بذلك النقل ، مادام أنه عاصر الحوادث بعينها ، وربما شهدها بعينه كذلك ، وهذا تقصير من غير تبرير مقبول . لكن الذى يستحيل تبريره ألبتة أن أبا المحاسن كان كلما وجد نفسه مخالفاً لأستاذه ، نَقَل روايته بنصّها وفصّها مهما طالت ، وأتبعها بنقد وتصحيح من

عنده ، فى لهجة خالية من اللياقة أحيانا . على أنه إذا أغفلنا تلك الناحية من نقد أبى المحاسن لأستاذه ، فإن ما أورده بصدد كثير من الحوادث من تصويب وتصحيح جاء أقرب إلى الحقيقة والواقع مما كتب المقريزى ، إذ المعروف أن المقريزى هو السابق فى الكتابة ، وأنه اعتزل الحياة العامة منذ ترك الوظائف والدواوين ، وأن تلك الفترة الأخيرة من حياته هى التى اشتغل فيها بالتأليف ، على حين بقى أبو المحاسن طول عمره متقلّباً فى بلاط السلاطين وبيوت الأمراء ، يتلقى من أقاربه وأصهاره وأصدقائه من موظفى الدولة ما ساعده على توضيح بعض الحقائق التاريخية التى غمضت على غيره . ومع هذا كله هيهات أن يقارن ذلك التلميذ النابغ بأستاذه الكبير فى ضوء مؤلفاتهما ، من حيث القيمة والكثرة واختلاف المقاصد والتنسيق .

أما العينى ، فيكفى لبيان القيمة النسبية للجزء المعاصر من كتابه عقد الجمان فى أخبار الزمان ، وهو الجزء الذى يستغرق عصر السلطان برسباى وما يليه حتى سنة ١٤٥١ م ، أن العينى نفسه كان يجلس إلى حضرة ذلك السلطان ليقرأ عليه فى أمسياته بالتركية من كتابه الذى كتبه بالعربية . على أن تلك البيّنة تكون كافية للحكم على قيمته التاريخية ، لو كان من المعروف ما أتمه العينى من هذا الكتاب الكبير فى ذلك العهد ، أو أنّ العينى ذكر الأجزاء التى قرأها منه على السلطان قصْد تملّقه

أو ابتغاء وعظه بأخبار السابقين . وكيفما كان الأمر ، فالمعروف أن العيني تملّق جميع السلاطين الذين أفاءوا عليه من ظلالهم ، وأنه سبق له فى أوائل أيامه أن ألّف كتاباً مشهوراً فى فضائل السلطان المؤيد شيخ ، كما نظم قصائد كثيرة فى مدح كلّ من السلطانين ططر وبرسباى نفسه .

واستمدّ ابن حجر فى تأليف كتابه إنباء الغمر بأنباء العمر من كتاب العينى كثيراً ، وقارن الكتابين بعضهما ببعض مقارنة شملت التفاصيل ؛ على أنه لم يتعقّب عثراته بالمداللة والضبط ، كما فعل أبو المحاسن بمؤلفات المقريزى ، بل اعترف بالنقل منه اعترافا صريحاً فى قوله "كتبت منه ما ليس عندى ، مما أظن أنه اطلع عليه من الأمور التى كنا نغيب عنها ويحضرها (١)" ، أى أن الكتابين يكمل بعضهما بعضا فى كثير من المواضع . غير أنّه يلاحظ أن كتاب ابن حجر لا يجىء شيئاً بالنسبة لكتاب العينى فى الحجم ، بل إن قيمته تنحصر فى أنه سجلّ وافٍ بالحوادث التى وقعت فى أيام ابن حجر فقط ، على حين أن كتاب العينى تاريخ شامل لأخبار مصر الإسلامية إلى عصر مؤلفه . ومع هذا فكتاب ابن حجر ممتاز بتعليقات وملاحظات تفرّد بها صاحبها عن سائر المؤلفين

(١) ابن حجر : إنباء الغمر بأنباء العمر — مخطوطة المتحف البريطانى بلندن ، ج — ، ١ ، صفحة ١ ب .

المعاصرين والسابقين ، ممن استقى منهم بالإضافة إلى العينى ، كابن الفرات وابن دقاق والمقريزى .

أما ابن إياس ، فالقارئ لكتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور يفتقد الإفاضات والتفاصيل التى عرفها من مؤلفات المقريزى وأبى المحاسن والعينى وابن حجر ، فلا يجد لها أثراً . غير أن أسلوب ابن إياس — مع اختصاره وعزوفه عن الإطالة والإطناب حتى فى الأجزاء المعاصرة من كتابه — مطبوع بطابع الذكاء والدقة ؛ وليس فى استطاعة ناقد — مهما علا سمته — أن ينكر أنّ ابن إياس كان على جانب عظيم من المقدرة ، وذلك برغم صرامة أحكامه ، وبرغم أخطائه أحياناً فى ضبط الوفيات .

يتبقى بعد ذلك مسألة مكمّلة لهذا النقد المقارن ، وهى مدى إلمام المؤرخين الذين تقدّمت أسماؤهم بأحوال البلاد المجاورة لمصر ، من حيث جغرافيتها وأهميتها الاقتصادية لدولة المماليك . غير أنه ليس من العدل أن نقدر المعلومات الجغرافية عند أولئك العلماء بما ورد عرضاً فى كتبهم التاريخية بصدد البلاد المجاورة ، لأن مبلغ ما فى تلك الكتب لا يعدو ذكر اسم هذا أو ذاك من الأقطار والممالك ، بمناسبة وصول قاصد (سفير) من عند ملك من ملوكها إلى السلطان بالقاهرة . بل قليلا ما يجد القارئ غير ذلك ، مما لا يزيد عن أسماء الملوك ، أو مسافات الأسفار والطرق والمسالك التى عبرها القاصد الفلانى كيما يصل إلى مصر . غير أنه على الرغم من هذه

الندرة الجغرافية المنتظرة فى كتب التاريخ ، فالواقع أنه يمكن القول بأن أولئك المؤرخين عرفوا مواضع البلاد الإسلامية القريبة معرفة جيدة بفضل أسفارهم إليها ، وأن معلوماتهم بصدد الممالك الإسلامية البعيدة لم تكن قليلة بالقياس إلى معلومات العصور الوسطى فى أوصاف البلدان وجغرافيتها ، وأن ماعرفوه عن ممالك أوربا وأصقاعها مع ضآلته ونقصه لم يكن مهوشاً مملوءاً بالخرافات ، بل تضمن حقائق بارزة ثابتة فى تاريخها وجغرافيتها وعلاقاتها السياسية بجيرانها ومن تلك الحقائق مثلاً أن دول أوربا المسيحية ، كالبندقية وجنوه وقطلونية وقبرص ورودس ، أضمرت كلها العداء لدولة المماليك ، على حين اكتفى بعضها بإرسال سفنه إلى موانئ السلطان للتجارة الحلال ، وعلى حين شجع بعضها الآخر مختلف الإغارات الساحلية والقرصنة التى أوجبت الجهاد والاستئصال . غير أن المعلومات الجغرافية البحتة لم توجد طبعا فى كتب المؤرخين ، وحسب القارئ أن يولى وجهه شطر مؤلفات معاصريهم وأصدقائهم ممن كتبوا فى الجغرافية عرضاً أو قصداً ، ليعلم مبلغ إلمام علماء ذلك العصر بأحوال البلاد المحيطة بدولة المماليك . ومن هذه المؤلفات كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى ، وكتاب المقصد الرفيع المنشا الهادى لصناعة الإنشا للخالدى ، وكتاب زبدة كشف الممالك للبيبرس

ابن شاهين ، وكلها ممتلئ بأوصاف البلاد الإسلامية والمسيحية البعيدة والقريبة .

وثمت مسألة أخرى مكملة لهذه الخاتمة ، وهي سقم الأسلوب العربي الذي كتب به مؤرخو ذلك القرن مؤلفاتهم التاريخية وغيرها ؛ إذ الواقع أنها تموج بألفاظ وتعابير وجمل لا تمت للعربية الفصحى بصلة ، وتزخر بعاميات غريبة واصطلاحات غامضة لا تذكرها القواميس والمعاجم . وأكثر ما يكثر ذلك في كتابات أبي المحاسن وابن إياس ، بل إن أسلوب المقريزي نفسه لم يخل من تلك الهنات . ويرجع ذلك أولا إلى ذيوع اللسان التركي بين طبقات الخاصة ، وإلى دخول كثير من ألفاظ اللغات المجاورة (بما في ذلك اليوناني واللاتيني وفروعه) في مصطلح الجيش والبحرية والدواوين ، مما أدى إلى كثير من الخلط بين ما هو عربي صحيح وما هو أجنبي غير جائز الاستعمال . وهذا الخلط في ظاهره وواقعه عيب يؤسف له ، وكثيراً ما شكا قراء هذه الكتب التاريخية من عرج أسلوبها وغموضه ؛ غير أنّ ذلك في باطنه حسنة لا تنكر ، إذ أنه نموذج لحال اللغة والكتابة في عصر سلاطين المماليك بمصر والشام ، وهو لذلك مادة ذات أهمية للمعنيين بتاريخ الأدب العربي في مصر ، والمشتغلين بدراسة لهجات القاهرة في مختلف العصور .

مؤلفات المؤرخين الواردة فى هذا الكتاب[1]

١ — أحمد بن على المقريزى : (ص ٦)

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط — انعاظ الحنفا بأخبار الخلفا — السلوك لمعرفة دول الملوك — المقفى الكبير — العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة — النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم — إغاثة الأمة بكشف الغمة .

٢ — أحمد بن حجر : (ص ١٧)

فتح البارى فى شرح البخارى — المجمع المؤسس والمعجم المفهرس — إنباء الغمر فى أنباء العمر — الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .

٣ — العينى : (ص ٢٠)

عقد الجمان فى تاريخ أهل هذا الزمان — عمدة القارى فى شرح البخارى .

---

(١) تشمل هذه القائمة أسماء المؤلفات التى اقتضتها سير المؤرخين فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، غير أنها لا تشمل جميع المؤلفات المنسوبة إلى أولئك المؤرخين .

٤ — ابن عربشاه : (ص ٢٢)

التأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر — عجائب المقدور فى أخبار تيمور .

٥ — خليل بن شاهين : (ص ٢٣)

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

٦ — بهاء الدين الخالدى : (ص ٢٤)

المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا .

٧ — أبو المحاسن بن تغرى بردى : (ص ٢٦)

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى — الدليل الشافى على المنهل الصافى — مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة — حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور — نزهة الرائى فى التاريخ — البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر — نزهة الألباب فى اختلاف الأسماء والألقاب — حلية الصفات فى الأسماء والصناعات — البشارة فى تكملة الإشارة — الانتصار لابن التتار — الرياضيات والموسيقى — السكر الفاضح والمطر الفائح .

٨ — نور الدين بن الصيرفى : (ص ٣٦)

نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان — أنباء الهصر فى أبناء العصر — سيرة الأشرف قايتباى — الجوهرية فى السيرة النبوية .

٩ — أبو الخير السخاوى : (ص ٣٦)

التبر المسبوك فى ذيل السلوك — ذيل تاريخ دول الإسلام — الذيل المتناهى — الذيل على طبقات القراء — المنتقى من تاريخ مكة — تلخيص تاريخ اليمن — الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع — الجواهر والدرر فى ترجمة ابن حجر — القول المنبى فى ترجمة ابن عربى .

١٠ — ابن إياس : (ص ٤٦)

بدائع الزهور فى وقائع الدهور — عقود الجمان فى وقايع الأزمان — نزهة الأمم فى العجائب والحكم — مسرح الزهور فى وقائع الدهور — نشق الأزهار فى عجائب الأقطار .

١١ — عبد الرحمن السيوطى : (ص ٥٦)

شرح الاستعاذة والبسملة — تكملة تفسير القرآن — طبقات الحفاظ — لب اللباب فى تحرير الأنساب — إرشاد

المهتدين فى نصرة المجتهدين — الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض — التنبئة عمن يبعثه الله على رأس كل مائة — الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف — تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبى والملك — قمع المعارض فى نصرة ابن الفارض — الإسفار عن قلم الأظفار — بلوغ المآرب فى قص الشارب — الوديك فى فضل السبك — مسألة ضرب زيدا قائما — حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة — تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين — تاريخ السلطان الأشرف قايتباى — بدائع الزهور فى وقائع الدهور — تاريخ أسيوط — كوكب الروضة — تاريخ العمر — المنتقى من تاريخ ابن عساكر — الشماريخ فى علم التاريخ — نظم العقيان فى أعيان الأعيان — بغية الوعاة فى طبقات النحاة — الملتقط من الدرر الكامنة — الأحاديث الحسان فى فضل الطيلسان — ما رواه الأساطين فى عدم المجىء إلى السلاطين — تأخير الطلامة إلى يوم القيامة .

١٢ — عبد الباسط بن خليل : (ص ٦٨)

نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين — نيل الأمل — الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم — تاريخ الأنبياء الأكابر — الوصلة فى مسألة القبلة — الحكمة والسر فى الضوء — القول المأنوس — شرح القانونشة فى الطب — عمدة الطالبين ورغبة الراغبين فى الفقه .

١٣ — حسن الطولونى : (ص ٧١)

النزهة السنية فى ذكر الخلفاء والملوك المصرية — شرح مقدمة ابن الليث — الأجرومية .

١٤ — ابن زنبل الرمّال : (ص ٧٥)

تاريخ أخذ مصر من الجراكسة — الدرة اليتيمة فى تاريخ مصر القديمة — تحفة الملوك والرغائب — المقالات فى حل المشكلات .

١٥ — محمد بن طولون الدمشقى : (ص ٧٦)

الفلك المشحون فى أحوال محمد بن طولون — عجائب الدهر — العقود اللؤلؤية فى الدولة الطولونية — حور العيون فى تاريخ ابن طولون — الثغر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشام — أعلام الورى — سلك الجمان — المنطق المنبى فى ترجمة ابن العربى — الاختيارات المرضية فى أخبار التقى ابن تيمية — التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والخلان .